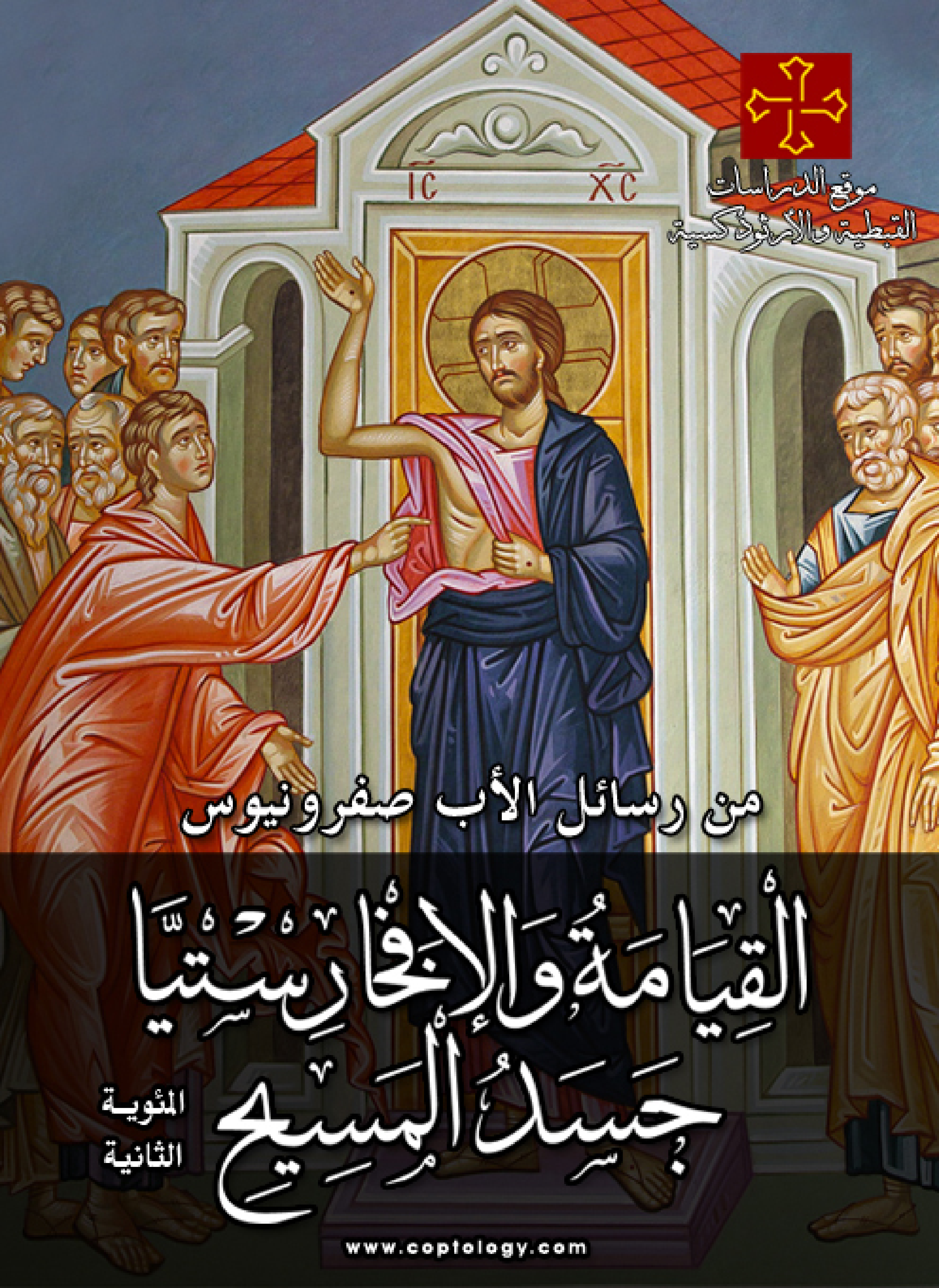


IC XC
موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية
من رسائل الأب صفرونيوس
القِيَامَةُ وَالإفخارِستيَا
جَسَدُ المَسِيح
المئوية
الثانية
www.coptology.com





المئوية الثانية

من رسائل الأب صفرونيوس

٢٠١٢

www.coptology.org

٢

المئوية الثانية

القيامة،

والإفخارستيا جسد المسيح

تحذيرٌ للقارئ:

ما سبق وذكرناه في الفصل الأول (المئوية الأولى عن قيامة الإنسان والكون في المسيح يسوع) هو تعليم لا ينفع المبتدئين، وإنما هو تعليمٌ للشيوخ الذين لهم مواهب عالية روحية تساعدهم على فهم أعمال الرب والإيمان به إلهاً متجسداً من والدة الإله، شاركنا كل ما لنا لكي نشاركه نحن كل الذي له من أمجاد وغنى اللاهوت.

لذلك أتوسل أنا صفرونيوس عبد المسيح أن لا ينسخ أحدٌ كلمات الفصل الأول إلاَّ للشيوخ، ويكتفي بكلمات الفصل الثاني، فهي أسهل وأقل خطورة على الذين يسلكون مع الرب ويسيرون معه على دربه.

علينا أن نتأمل دقة التعليم الرسولي عن محبة ربنا يسوع المسيح الذي "افتقر وهو الغني". وكيف افتقر؟ وُلِدَ فقيراً في "بيت الخبز"، أي بيت لحم. ونال ذات الحياة الإنسانية المحدودة التي لنا. هذا هو الفقر الحقيقي لأنه أخضع ذاته لكل حدود وقوانين الطبيعة الإنسانية، وصار مثلنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها.

١– كان من المستحيل تماماً على الرب أن يخطئ لسببٍ واحد، وهو أنه – كآدم الجديد – لم يحيا حياةً مستقلةً عن الله الآب. فهو الابن الأزلي الكائن دائماً في "حضن الآب"، ولذلك السبب عينه، كانت كينونة الرب الدائمة مع الآب لا تسمح لحياته وكيانه الإنساني أن يوجد بعيداً عن الآب – ليس حسب مسافات الزمان – لأنه لا توجد مسافة تستطيع أن تفصل الإنسان عن الله؛ لأن الله كائن في كل زمان ومكان، وهو خالق الكل، وإنما الانفصال يبدأ روحياً بانتقال الإدراك من الله إلى الذات، وتأمُّل هذه الذات وحُبها بصورة منفردة بلا شركة، كذاتٍ فريدةٍ متمايزةٍ لا ترى كيانها المستَمدُ من الله، بل تظن أن كيانها إنما هو مستمدٌ من الكون، أو من القدرات المودَعة فيها.

٢– هكذا لم يحمل جسد الرب وحياته بذرة الانفصال، أو شكل الاستقلال عن الآب، أو عن أُقنوم الكلمة؛ لأنه بذلك صار غذاءً وقُوتاً لنا في السر المجيد، أي سر الشركة. ولنفس السبب نحن نقول إن أصغر جوهرة في السر المجيد هي جسد الرب؛ لأن الانقسام والانفصال الذي جاء مع الخطية هو الذي يفصل الأجزاء ويُباعد بين الصغير والكبير، ويجعل القسم أو الجزء الأصغر أقل من الجزء الأكبر. فالخطية ترى في المسافة انفصال، ولكن المحبة لا ترى المسافة؛ لأنها تعبُر كل المسافات والفواصل. وبالإتحاد بين أقنوم الابن والناسوت الذي أخذه من والدة الإله، اختفت قدرة المسافات والزمان على تعميق الانفصال.

ونحن لا نتناول ولا نوزِّع جسد الرب حسب قوانين الطبيعة المنظورة، بل حسب قانون المحبة الجديدة، وهو قدرة المحبة على أن تجمع دون أن يقوى عليها الزمان أو المسافة؛ لأننا نحن الذين نأكل جسد الرب ونشرب دمه، نحيا فيه دائماً بدون انقطاع، حتى وإن كنا لا نحس بذلك.

هو يرانا ويعرفنا ويتَّحد بنا منذ المعمودية المقدسة التي فيها نشترك في بنوته دون انفصال بالمرة عنه، فالمعمودية المقدسة هي التي أدخلتنا في المستوى الأزلي (البُعد الأزلي)

الذي يعلو على حدود الزمان والمسافات، والذي فيه انتقلنا من الانفصال الآدمي الأول إلى شركة آدم الجديد الابن الوحيد الذي نحيا فيه وبه ويحيا هو فينا؛ لأنه جمع الأزل وغير المحدود في أقنومه المبارك الإلهي مع الزماني والمحدود في طبعه الآدمي الجديد، ونقل الخليقة الأولى من حدودها القديمة الفانية إلى حدودٍ جديدةٍ يتَّحد فيها الأزل مع الزمان إلى أن يُبتَلعُ الزمان في يوم الدينونة، ويتَّحد فيها الحي مع المائت إلى أن تُلاشي القيامة العامة كل ما يفصل الحياة عن الموت؛ لأن الموت أُبيد في الرب ويُباد فينا كل يوم.

وعندما نتقدَّم إلى المائدة السماوية والمذبح الفائق، فإننا لا ندخل كغرباء ولا نتقدم كمفصولين، بل نتقدم كأعضاءٍ حيَّةٍ في جسده الواحد الذي – بقوة سر المعمودية – صار لنا فيه الاجتماع السري الفائق الذي يعلو على حواس الإنسان.

وحقيقة المعمودية تجعلنا جسداً واحداً مع الرب الواحد، ومع كل الذين نالوا هذا الختم السمائي، وتنقلنا من الحياة الأرضية الترابية إلى الحياة حسب الروح القدس. وهذا يعني أننا – منذ المعمودية – صرنا متَّحدين بالمسيح، لا بقوة الإرادة الإنسانية وحدها أي إرادتنا، بل بعمل ذلك القادر أن يجمع كل الأشياء ويوحِّدها تحت رأسٍ واحدٍ (أف ١ :١٠)؛ لأن إرادتنا الإنسانية فيه منذ تجسده، وهو جمَعَنا معاً ومع كل القديسين عندما أخذ إنسانيتنا، **بل مع كل القوات السماوية التي تشترك معنا حسب طقسها في تناول الطعام الروحي حسب عطاء وهبة المحبة الذي لا يعطى بخبزٍ وخمر للقوات السماوية، بل يعطى في التسبيح معلِناً محبة الله الفائقة؛ لأنهم عند تلاوة الصلوات المقدسة، يتناولون معنا ما تعلنه الكلمة بقوة الروح القدس، ويشتركون معنا في السر حسب طقس السمائيين في التسبيح ويعاينون السر الفائق، وبذلك يشتركون معنا دون أن يأخذوا من ذات ذبيحة الكنيسة، أي جسد الرب ودمه، بل يأخذوا من ذات مصدر الذبيحة الأزلية، أي عطاء المحبة.**

وهي ذبيحةٌ واحدةٌ مُعلَنةٌ في الزمان حسب تسليم الرب وطقسه في عليِّة صهيون، ولكنها آتيةٌ من الأزل ومن التدبير المعروف سابقاً قبل كون العالم، وهو ما نشاهد قبساً منه في صلواتنا وفي ترتيب التسليم الذي سلَّمه الرب نفسه. فقد جلس مع تلاميذه، وحمل جسده على يديه، وأعطاه بقوة لاهوته، وكَسَرَه بالإرادة دون أن يفصل جزءً منه عن الآخر؛ لأن الإرادة لا تُفصَل؛ فهي قوة واحدة، وقوة الحياة في الجسد الواحد تجعل كل عضو في الجسد حيَّاً بذات الحياة. والإرادة هي التي توزِّع الحياة على كل الخليقة وتعطي الوجود لما هو آتٍ وتحفظ الخليقة من العدم. بهذه الإرادة الحية الواهبة الحياة، حمل الربُ جسده وأعطاه لتلاميذه الأطهار وكسره دون أن ينكسر، بل لكي يوزِّعه ميراثاً للجميع وعطيةً حرةً غير مقيَّدةٍ بمكر وخبث اليهود، وخوف بيلاطس، وخيانة يهوذا؛ لأن المحبة تُعطي دون إكراه. **وكَسَرَ جسده ليوزِّعه؛ لأن طقس الكسر لا يعلن الانفصال، بل التوزيع، فلا انفصال في المحبة، بل توزيع هبة الحياة.**

٣– لقد وزَّع الربُ جسده مؤكِّداً أنه هو الرأس الذي تأخذ منه كل الأعضاء الحياة الواحدة. وكما خَلَقَ من العدم وأعطى الوجود لكل الكائنات، كذلك أعطى لكل الذين اشتركوا في وليمة علية صهيون، الوجود في وليمة الحياة الأبدية. وأعطى أيضاً عطية الشركة في الوليمة، فرسم بذلك – من جديد – الخليقة الأولى التي نالت الوجود والشركة، وصارت تنال الوجود بالدعوة: "خذوا"، والشركة: "بتوزيع هبة الجسد والدم"، فتم رسم الخليقة الجديدة على أساس الأولى القديمة، وجدَّد بذلك الخَلق الأول عندما جلس معنا عند المذبح لكي يوزِّع علينا جسده، ولذلك قال الإنجيلي: "ولما كان المساء اتكئ يسوع مع تلاميذه"، فرسم بذلك نهاية الرمز، أي فصح اليهود، وجلس كملكٍ يوزِّع هبات الملكوت ويعطي أعزَّ هبةٍ، وهي حياته الإلهية بعد أن وزَّعها بالتعليم ومعجزات الشفاء.

٤– لقد رَسَمَ الربُ أن تكون حياته طعاماً لكي يبيد كل أنواع الانفصال الذي جاء مع الخطية، ولكي يحرر الإنسان من الداء الخفي القديم الذي لا يمكن أن يُقلع إلاَّ بالعطية.

رَسَمَ الربُ أن يعطي جسده لكي نحيا به حياةً أبديةً لكي نأخذ، ليس فقط رسم ورتبة القيامة كتعليم، بل رسم ورتبة القيامة نفسها التي نذوقها عربوناً حيث يُظهر لنا أن عطية الحياة، إنما هي هبةٌ من المسيح تأتي منه كرأس الجسد.

٥- حسب الظاهر، الربُ الآن في السماء، رأساً للخليقة الجديدة. وحسب الحقيقة، أي السر، هو أيضاً على الأرض يرسل حياته مثل نور الشمس لكل الذين يريدون أن يأتوا إليه بإيمان ومحبة. وكما أنه من الصعب أن نفصل الرأس عن الأعضاء، ولا توجد مسافة أو زمن بين رأس الجسد والجسد، بل رأسٌ واحدٌ لجسدٍ واحدٍ، هكذا لا يمكن أن نفصل الرب عن الكنيسة.

٦- لا تخضع وحدة المحبة لترتيب اتصالات واجتماعات الماديات، بل للمحبة الإلهية طقس الوحدة حسب عمل الروح القدس الذي أسَّس الكنيسة المقدسة أولاً بتجسد الكلمة كآدم الجديد، الذي يجمع نسل آدم الجديد المولود من الماء والروح كمثال ميلاده من العذراء، **والذي جعل آدم الجديد هو الجذر الجديد للإنسانية والأصل الذي ينقل منه الروح القدس إلى كل الأغصان الحياة الغالبة الموت أي حياة الرب،** وهي حياة غالبة لكل أنواع الانفصال، انفصالات الخطية، انفصال الروح عن الجسد، والجسد عن الله، والإنسان عن الله مصدر الحياة.

٧- أعطى الروح القدس - روح الحياة - لكل المؤمنين حياة عدم الموت في المسيح. هكذا تم التآلف بين روح الحياة والقيامة التي لا موت فيها، فصارت قيامة الرب هي الالتقاء بين روح الحياة أي روح يسوع أي الروح القدس، والمؤمنين بالمسيح في حياة واحدة إلهية متجسدة في الرب، وإنسانية متألهة فينا.

٨- حسب الظاهر، تجمع الصلواتُ الربَ بالمؤمنين أعضاء جسده. وحسب الحقيقة - أي تلك التي يعلنها "روح الحق" - نرى هذه الأعضاء كائنة في فكر المسيح وفي محبته، فهو يعرف خرافه ويدعوها بأسماء، ويخرج أمامها ويسير قدامها لكي يرتب لها

طريق الخلاص. هكذا الروح القدس يعرف ما هو الكائن في فكر الرب وقلبه ومحبته، ويعطي كل الذين يحبهم الرب، ويجمع الكل بالكلمة وبالسر المجيد معلناً الأساس الأزلي لهذه الوحدة التي تمت حسب التدبير في الزمان.

٩- حسب تسليم الرب، نرى أنه هو الذي قال: "خذوا كلوا هذا هو جسدي"، وبدون هذه الكلمات يتعذَّر علينا أن نقدِّم القربان؛ لأننا بقوة الدعوة نأتي إلى هذه العطية السماوية. وتأمَّل، إن هذه الكلمات قيلت مرة واحدة في العلية، وقوة استمرار العطاء ليس في عدد المرات التي تقال فيها، ولكن قوة العطاء في بقاء المحبة التي غلبت قوة الانفصال. وقوة الكلمة في دعوة الرب، وهي دعوة جذرها الإرادة الحية التي لا تتراجع ولا تتردد، لأنها إرادة الحي الواجب الوجود الذي لا يعرف الخوف والشك ولم يقع تحت أسر الموت.

١٠- الروح القدس كائنٌ مع الابن ومع الآب منذ الأزل، وهو الذي كوَّن ناسوته في بطن البتول، وهو الذي مسحه في الأردن، وهو الذي يعطي لنا جسد الرب لأنه هو الذي كوَّنه، لذلك نستدعي الروح لكي ننال قوة الوعد والدعوة "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة". وعندما يحل الروح القدس، ينقل قربان الكنيسة إلى جسد الرب ودمه، أي يدخل إلى دائرة الأزل، حيث يملك الروح القدس رب الكنيسة ومؤسس جسد الرب لكي يعطي لنا شركةً في جسد الرب.

١١- عندما جلس الرب مع تلاميذه، أعطاهم جسده ممزوجاً بقوة الصليب، أي قوة البذل؛ لأن الصليب لم يفارقه، بل أعلنه لنا طريقاً وشريعةَ تلمذةٍ، وسلَّمه إلينا ترتيباً إلهياً في الكنيسة. ولما كان الصليب في فكر الرب وقلبه عندما أعطى جسده ودمه في علية صهيون، أعطاه لنا الجسد والدم والصليب ممزوجاً في هذا السر بمحبته للبشر غالبة الانفصال.

١٢- وكانت قوة القيامة أيضاً في علية صهيون؛ لأنه بصوته المحيي أعاد لعازر من الأموات، والذين لمسوه نالوا الشفاء. وهكذا كانت قوة الحياة التي في الرب تُعلَن لنا حسب التدبير. وهكذا بصوته أعطى القيامة ومزجها بالسر الإلهي؛ لأنه بقوله: "هذا هو جسدي الذي يكسر عنكم وعن كثيرين يُعطى لمغفرة الخطايا هذا اصنعوه لذكري"؛ أعلن القيامة، لأنه قال أيضاً: "مَن يأكلني يحيا بي"، وأيضاً: "وأنا أقيمه في اليوم الأخير". ولأنه هو القيامة والحياة، صارت عطية الجسد والدم في علية صهيون هي عطية حياة وقيامة منذ أن نطق بكلمة: "هذا هو جسدي .. وخذوا كلوا".

١٣- وبكلمات الحياة أعطانا قوة الاشتراك في جسده المصلوب بالإرادة والنية، وقوة الاشتراك في قيامته في جسده المحيي الذي لم يرَ فساداً، والذي شفى كل من لمسه قبل أن يُصلب.

١٤- لم يكن الصليب عملاً خارجياً تم خارج حياة الرب، بل كان إعلاناً له أصلٌ في جوهره وفي حياته الإلهية المتأنِّسة. بدأ الصليبُ بإخلاء الذات عندما صار الربُ بشراً مثلنا. بدأ عند بيت لحم، وأُعلِن بشكلٍ ظاهرٍ في معمودية الرب؛ لأنه أخلى ذاته لكي ينال قوة ومسحة الروح القدس لكي يعمل معه الروح القدس حسب شركة الحياة الإلهية الواحدة للثالوث. وبإخلاء ذاته لقبول مسحة الروح القدس، نقل هذه المسحة إلينا، وقَبِل الروح القدس لأجلنا لكي نقبل نحن غنى الروح كما قَبِله هو. وبقوة الروح – كما يقول الإنجيلي لوقا – رجع يسوع من البرية (لو ٤ :١) لكي يبدأ الكرازة بعصرٍ جديدٍ للروح القدس. هكذا كان إخلاء الذات مُعلَناً بقبول الرب قوة الروح القدس، والتخلي عن قوته الذاتية لكي يُمسح، وننال نحن بهذا الإخلاء شركةً في مسحته الإلهية.

١٥- جاء الرب – حسب التدبير – لكي يصنع المعجزات والشفاء، ولكي ننال نحن فيه التحرر من الفساد ومن الموت. وقال إنه بروح الله يخرج الشياطين، مؤكِّداً بذلك عمل الروح القدس فينا بعد صعوده إلى السماء؛ لأنه قَبِل هذا الروح منذ ولادته، بل منذ الحبَل به.

قَبِله مكوِّناً لجسده ونفسه الإنسانية لكي تعود الإنسانية إلى أصلها الإلهي بالروح القدس، أي الصورة التي وُهِبَت. وقَبِله في مسحته لكي تنال الإنسانية فيه – أي في يسوع – المسحة، وهي شركتنا في الروح القدس.

ولما جاء الرب إلى الجلجثة، أعلن هناك على الصليب إخلاء الذات بكلمات المزمور: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟"، وحقاً كان يخاطب الآب؛ لأنه عندما أخلى ذاته – حسب تدبير تجسُّده – كان قد وصل إلى عمق الإخلاء الذي يختبره القديسون الذين صرخوا ذات الصرخة المدونة في مزمور (٢٢: ١)، وهي كلماتُ حقٍ وليست مجرد نبؤة، بل كانت صرخات القديسين الذين عرفوا تخلي الله عنهم في ساعات الألم والموت. وفي هذه الساعة بالذات كان انفصال الموت قد اقترب، ودخلت نفس الرب الإنسانية "وادي ظلال الموت" دون أن تخاف، وبهذه الكلمات أعلن الرب أنه يسير نحو الهاوية، ولما وصل إلى نهاية الطريق قال: "قد أُكمل" وأسلم الروح في يدي الآب الذي قال له من قبل: "في يديك استودع روحي". وهكذا وصل الصليب إلى كمال إخلاء الذات ببذل النفس والجسد روحياً في العلية، وعلانيةً على الجلجثة.

وهكذا، سبق الرب ورأى موته وقيامته بالروح عندما سلَّم لنا جسده ودمه بكلمات إرادته ونيته: "خذوا كلوا .. خذوا اشربوا .."، فأكَّد بذلك الإخلاء التام؛ لأنه لم يعد يقبل أن يحفظ حياته لنفسه، أو أن يكون رأساً بلا جسد، أو ينبوعاً لا يفيض بالصلاح، أو بحرَ محبةٍ يحفظ خيراته لنفسه، فأعطانا جسده ودمه وفيهما سر الصليب وقوة القيامة.

١٦– ولما مزج الربُ في عليّة صهيون صليبه وقيامته معاً في سر الشكر الإلهي، وحمل جسده على يديه مستودِعاً إياه قلوب التلاميذ، أعلن اتحاده بهم قبل صلبه على الجلجثة، لأنهم معه في صليب محبته منذ بيت لحم، بل قبل كل الدهور، ومعه عندما دعاهم وعرفهم وأعلن لهم سر محبته، واشتاق أن يعطي لهم حياته.

كانوا فيه، أي في قلبه. وكان هو فيهم بالكلمة وبالروح القدس وبالمحبة وبالسلطان الإلهي الذي قبلوه. وكان من الضروري أن يُعلَن كل هذا لنا وللعالم كله. فأعلن الرب سر محبته ونقل الإتحاد من السر إلى العلانية، ومن رتبة العلاقة الخاصة بالتلاميذ إلى رتبة العلاقة الكونية بالكنيسة؛ لأنه كان يرانا نحن الآتين إلى حظيرة الخراف بواسطة تعليم الرسل القديسين.

١٧– هكذا نقل الرب إعلان صليبه من عليّة صهيون إلى الجلجثة لكي نرى الإعلان الواحد لمحبته في جسده ودمه اللذين سُلِّما لنا بكلمات المحبة في العلية، وسُلِّما لنا – بسر الألم والموت على الجلجثة – جسدٌ واحدٌ ودمٌ واحدٌ لربٍ واحدٍ. سرُ محبةٍ واحدةٍ أعطاه لنا نحن الذين ندخل إلى ذات الشركة مغتسلين بآلامه وموته لكي نحيا بقوة قيامته.

١٨– لا ثنائية في طبيعة المحبة، فهي لا تقبل التقسيم. ولذلك، عطاءُ المحبة هو عطاءٌ واحد. وما حدث في العُلِّية لا يختلف جوهره عما حدث على الجلجثة عندما عُلِّق الربُ على عود الحياة، أي الصليب المكرم.

يختلف الطقس باختلاف الشركة، وباختلاف الإعلان.

الإعلان الأول والطقس الأول كان مع الأحباء، مع الرسل، ومع الكنيسة.

الإعلان الثاني والطقس الثاني كان مع الأعداء .. وكانت المحبة واحدة.

الطقس الأول هو طقس حرية الاختيار، والطقس الثاني كانت فيه الحرية مستترة عن عيون الأعداء. عطاءُ العلِّية هو ذاته عطاء الجلجثة، ولكن الخدمة الإلهية في العلِّية تختلف عن الخدمة الإلهية في الجلجثة؛ لأن الثانية لم تكن مع الذين ساروا معه مسيرة التعليم وعاشوا معه.

١٩– اختار الرب ترتيب العلِّية لعطاء الحرية، واختار اليهود ترتيب الجلجثة للقضاء عليه. وحقاً حدث أمرٌ عجيب، إذ اتفق اليهود مع الرومان على صلب الرب، فصاروا بذلك واحداً دون أن يعرفوا. ودون أن يعلموا، تصالحوا في الصليب وأسسوا شريعة المصالحة بخبث ونية القتل، ولكن الرب حوَّل هذا إلى تدبير مصالحة الشعب مع الأمم، وغَرَس سلامَ الحياة الجديدة.

٢٠– مدَّ الربُ يديه، وسلَّم بيديه جسده المقدس ودمه الكريم. ومدَّ يديه على الصليب وسلَّم جسده المقدس ودمه الكريم، فأذِنَ لنا أن نكسر الخبز جسده المقدس، وأن نشرب الدم الكريم. هذا سهلٌ؛ لأن المحبةَ تستطيع أن تدرك هذه الحقيقة. أمَّا الدم – وهو قوة الحياة – فيعطى دون سفكٍ ظاهرٍ؛ لأن الحياةَ تُعطى بالكلمة وبالشركة وبالخدمة، وقبل كل هذا وذاك بالمحبة.

٢١– يقول الرسول: مقارنين الروحيات بالروحيات، ولذلك علينا أن ندرك – بمقارنة سُكنى الروح القدس فينا – التناول المقدس. فالروح يسكن فينا دون أن ينفصل عن الآب والابن، ودون أن ينقسم. هكذا – بالمقارنة – ننال الجسد والدم؛ لأن جسده ودمه لا يمكن أن ينفصلا عن لاهوته، بل يحمل كلاهما – كذبيحة واحدة – حياة ربنا يسوع الإلهية المتجسدة.

٢٢– سفَكَ الربُ دمه دون ذبحٍ خارجي؛ لأن الذبح الداخلي تم حسب إرادته قبل خلق العالم.

ذبحٌ واحدٌ أُعلن في العلِّية، وعلى الجلجثة.

الأول للأحباء من أجل الشركة، والثاني للغرباء لكي يفهموا سر الألم والمعاناة. وفي الإعلان الثاني تم لقاء المحبة مع العداوة، الرحمة مع البغضة، النقاوة مع الخبث، الحق مع الكذب، الحياة مع الموت؛ لكي ينال الذين يأتون إليه العزاء من الإعلان الثاني، وبه يدخلون الإعلان الأول بفرحٍ سمائي.

٢٣- الإعلان الثاني هو طقس الخارجين عن شركة الابن الوحيد، وكثيراً ما يقودهم إلى الإعلان الأول.

٢٤- يقبل الربُ كل الآتين إليه بتوبةٍ وإيمان. والتوبة أحياناً لا تقلع جذر الخطية لأنها حسب محبة التائب، ولكن رغم ذلك يعطي الرب جسده ودمه إلى كل الذين يأتون إليه؛ لأنه قال: "مَن يُقبِل إليَّ لا أخرجه خارجاً" (يو ٦: ٣٧). وقال أيضاً: "تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت ١١: ٢٨).

٢٥- عندما يقول الكاهن: "القُدْسات للقديسين"، فإن هذا الإعلان يقابله رد الشعب: "واحدٌ هو الآب القدوس، واحدٌ هو الابن القدوس، واحدٌ هو الروح القدس"، مؤكِّداً أن قداستنا هي من الثالوث الذي وحده هو القدوس، وإننا لا نتكل على برِّنا للتناول من الذبيحة، بل على رحمة ومحبة الرب للبشر.

٢٦- الإفخارستيا هي طعام التائبين، ومنع هؤلاء من التناول هو قتلٌ روحيٌ يُحَاسَبُ عليه القاتل. ولم يمنع شيوخ الدير أيَّاً منَّا من التناول إلاَّ مَن أظهر عدم إيمان. وهذا كان يُقابَل بمحبةٍ غافرة لكي يعود بمحبةٍ إلى المسيح؛ لأن اللوم يزرع طلب البر الذاتي والسعي إليه في قلب مَن ينال اللوم. أمَّا المحبة فهي تُغذِّي تواضع القلب.

٢٧- يقول الرب: "اسألوا تُعطَوا". ونحن نسأل خبز الغد، أي خبز الحياة الآتية؛ لأن "اليوم" هو "يوم خلاص". أمَّا "الغد"، فهو ذلك الذي نرتِّل له: "وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي".

٢٨- عندما نتكلم عن جسد ودم ربنا يسوع المسيح، فنحن لا نتكلم عن الناسوت دون اللاهوت؛ لأن الربَ لم يكن إنساناً وبعد ذلك صار إلهاً، بل منذ أن حُبِلَ به، هو الإله المتجسد الذي لم ينفصل لاهوته عن ناسوته لحظةً واحدةً، ولا طرفة عين.

وهكذا نحن لا نتناول الناسوت دون اللاهوت، ولا اللاهوت دون الناسوت. لأن التعليم الأول هو تعليم نسطور المنشق عن تعليم الكنيسة الجامعة. والتعليم الثاني هو تعليم أوطاخي الذي أنكر تجسد ابن الله. أمَّا نحن، فإننا باستقامةٍ أرثوذكسية، نتناول عمانوئيل إلهنا المتجسِّد، فنصير واحداً معه حسب وحدته مع الآب والروح القدس، وأعضاءً في جسده حسب قانون التدبير الإلهي.

٢٩- عندما نأكل الخبز السمائي، فنحن نأكل "الخبز النازل من فوق"، من عند الآب، أي "المنّ السمائي"، ونشرب كأس محبته الذي فاض من جنبه بحياة عدم الفساد. فلا يظنن أحدٌ أننا نتناول عناصر فاسدة تفسد، بل نتناول الرب نفسه وننال شركةً في حياته.

٣٠- يؤكِّد وجود الخبز على المذبح أن الرب هو "غذاءُ" الروح والجسد، والكأس هو غذاء وفرح القلب والجسد.

لِنأكل لكي نشبع روحياً، ونشرب لكي نفرح إلى الأبد "فرح الرب هو قوتنا".

٣١- رفعَ الصليبُ الموتَ، وبذلك رفع كل حواجز وموانع الإتحاد، فصار سر موت الرب هو سر إتحادنا به؛ لأننا بموته ندخل حياة عدم الموت. ولما أباد الربُ الموتَ رفع كل موانع الإتحاد به.

٣٢- بالصليب وبالقيامة صار الربُ "رأسَ الجسدِ"؛ لأنه هو رأسُ الخليقةِ كإله، وبتجسُّده صار البِكرَ، وبموته نال سيادةً خاصةً على الموت، وبقيامته نال سيادةً على الهاوية وأباد الفساد وفتح طريق شجرة الحياة، وأسَّس بذلك قوة الحياة التي تجمع، وأسَّس عزة آدم الجديد الذي يسود على الكل.

٣٣- كلما نتناول نمتلئ من الروح القدس الذي رتَّب الأسرار، وهيَّأ جسد الابن، وأعلن ربوبيته، ومسحنا في المسيح. ومن المسيح، وبالروح القدس، نميِّز جسد الرب ودمه.

٣٤- الصوم قبل التناول هو ترتيب المتقدمين؛ لأن سفر الخليقة يقول: "في البدء خلق الله السماوات والأرض". فالسماء سبقت الأرض، والحي سبق المائت، وعديم الفساد، أي ابن الله سبق الفاسد.

لِنصم لكي نأكل خبز الحياة قبل ثمرات الأرض.

٣٥- الصوم المقبول قبل التناول هو أن نغسل العقل من كل فكرٍ رديء، وآذاننا من سماع، حتى ما هو مقدس، وأن نملأ القلب من الهذيذ ومن كلمة الله الحية.

لِنطلب الربَ وحده، فهذا هو الصوم الحقيقي الذي يسبق الانقطاع عن طعام الفم.

٣٦- إنكار الذات يضبط اللسان. وضبط اللسان يؤدِّي إلى إنكار الذات عند الفاهمين. ومتى تناولنا، لِنغلق أفواهنا عن كل ما هو باطل.

لِنأخذ طعام الحياة لكي ندرك أنه لا حياةَ فينا بدون الرب.

لِنحيا في المسيح وبالمسيح لكي نتعلم إنكار الذات الحقيقي.

مَن لا حياة فيه لا يتشامخ ولا يخاف ولا يغضب؛ لأن الحياة التي فيه ليست منه وهي ليست له، بل لمن مات وقام لكي يعطي لنا حياةً أبديةً.

٣٧- يُقاس جحد الذات بعطية الإفخارستيا. فكما أن الرب أحب ذاته وقدَّمها عطيةً، هكذا علينا أن نحب ذواتنا وأن نقدِّمها عطيةً للآب في ابنه يسوع المسيح، وبإلهام روح يسوع المسيح، أي الروح القدس.

٣٨- لأن الرب يسوع يحب نفسه؛ لذلك قدَّم ذاته ذبيحةً.

لِنحب أنفسنا، وبالمحبة المصلوبة مع يسوع، نقدِّم ذواتنا ذبيحةً لكي ننال حياة الدهر الآتي.

٣٩– يقول الرسول: "المحبةُ تطرح الخوفَ خارجاً"؛ لأن الإفخارستيا هي دواءٌ وترياقٌ يشفي محبتنا من كل أمراض الخوف والأنانية والسُّبح الباطل.

٤٠– هل تريد أن تعرف كيف يحب الرب ذاته؟

اسمع صوته وهو يقول: "أنا والآب واحد"، ومِن هذا الصوت تدرك لماذا قال الرسول إنه هو "الخبز النازل من فوق"، وإنه "خبز الآب السماوي"؛ لأننا عندما نشترك في جسد الرب، فإننا نشترك في محبته للآب والروح القدس، كما نشترك في محبة الآب والروح للرب يسوع المسيح.

٤١– يحب الآبُ الابنَ الوحيد، ولذلك يجعله طعاماً لحياة العالم كله.

ويحب الروح القدس الابنَ الوحيد؛ لذلك يقدِّس قربان الابن.

ويحب الابنُ الآبَ والروح القدس؛ لذلك يجمع أعضاء جسده، أي الكنيسة ويقدِّمها للآب قربانَ محبةٍ في الروح القدس.

٤٢– عندما نجتمع في الكنيسة حول مذبح الرب، فإننا ندرك سر اجتماع الرب بنا نحن البشر:

أولاً: من إعلان محبته الذي يؤكِّد سر وجوده معنا في السر المجيد، فهو يقول: "أنا هو الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف".

وثانياً: من هبة محبته، أي موته المحيي الذي فيه أباد الموت لكي تبقى محبته الأبدية.

وثالثاً: من قيامته؛ لأنه صار رأس الجسد أي الكنيسة لكي يجعل لها رؤية سماوية من خلال وجوده كرأسٍ حيٍّ في السماء. ومن فوق ننال ما يريد الرب لنا أن نراه حتى يكمل زمان المغفرة وتعود الخليقة إلى الآب، فنرى كل شيءٍ كاملاً.

٤٣– عندما يُقسِّم الكاهنُ جسدَ الرب في السر المجيد، فهو يعلن ليس انفصالَ أجزاءٍ عن بعضها، بل تمايُز أعضاء جسد الرب. ويعلن ميراث كل متناول؛ لأنه يعطي لكل متناول جسد الرب يسوع ودمه الكريم.

وحقاً لا ينقسم الرب ولا يتعدد، بل يجمع المنقسمين ويوحِّد المتفرقين؛ لأنه هو الرأس الذي منه كل أعضاء الجسد.

٤٤– عندما نأكل معاً الذبيحة المقدسة، فإن ثلاثة أسرار تحدث معاً في وقت واحد:

أولاً: سر عودتنا إلى الرأس، أي المسيح الذي منه أخذنا وجودنا الجديد حسب قول الرسول: "إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة" (٢ كور ٥: ١٧)، وهذا لا يعني أننا انفصلنا عنه، فلا شيء يفصلنا عن المسيح كما يقول نفس الرسول (رو ٨: ٣٥).

وثانياً: سر ثباتنا في الثالوث؛ لأننا بالوسيط الواحد ربنا يسوع المسيح، نثبُت.

وثالثاً: سر اتحادنا بالرب الذي هو اتحادنا بالثالوث؛ لأننا به، أي بالمسيح ندخل شركة محبة الآب بابنه بالروح القدس، إذ يرانا الآب أعضاء جسد ابنه الوحيد.

٤٥– وفي سر عودتنا للرأس تتجدد فينا قوة قيامة الرب وشركة آلامه.

وفي سر ثباتنا في الثالوث نغتسل من كل نجاسةٍ ودنسٍ، وننال مغفرة الخطايا.

وفي سر اتحادنا بالرب، ننال كل الإعلانات والمعرفة السماوية التي تؤهِّلنا لميراث الملكوت.

٤٦– قال الربُ: "أنا هو القيامة والحياة"، وبذلك أكَّد أنه لا توجد لنا قيامة بدون شركتنا في قيامته التي قال الرسول عنها: "مات من أجل خطايانا وأُقيم من أجل تبريرنا" (راجع رو ٤: ٢٥)، أي تبرير الحياة من الموت. وهكذا نأكل خبز الحياة الذي لا يموت مَن يأكله، بل ينال القيامة من الرب.

٤٧- نحتاج إلى التناول دائماً، ليس لأن خطايانا وأسقامنا تقوى على نعمة الرب، بل لأننا كلما زاد عطشنا إلى محبة المسيح، قويت فينا إرادة الحياة، وزادت فينا رغبتنا في الشركة.

لِنطلب الرب دائماً ونأكل هبة الحياة أي جسده؛ لكي تحيا نفوسنا وأجسادنا بحياته التي لا تموت، بل قهرت الفساد.

٤٨- مِن الرب نفسه نأخذ بتوليته، وهي وإن كانت سلوكه وحياته، إلاَّ أنه أسَّسها وزرعها في الخليقة الجديدة مؤكِّداً لنا هذا بقوله عن القيامة: "لا يزوَّجون ولا يتزوجون بل يكونوا كملائكة الله". وبهذا صارت هذه الحياة الملائكية تُزرع فينا، ونرى ثمرتها الكاملة يوم الدينونة، وهي، أي الحياة الملائكية تقاتِل شهوات الخليقة القديمة.

وعندما زرع الرب البتولية في آدم الجديد، صارت لنا جميعاً حتى للذين ارتبطوا بالزيجة. ونناها نحن في الحياة الرهبانية؛ لأننا جميعاً نتَّحد بجسد الرب يسوع المسيح البتول الكامل الذي أخذه من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم. ونحن نأخذ هذا الجسد ذاته من الروح القدس، ومن الرب نفسه الذي يوزِّع علينا جسده لننال فيه بركات حياة القيامة.

٤٩- يحل الروح القدس على القرابين في الخدمة الإلهية المقدسة (القدَّاس) لكي يسلِّمنا جسد الرب ودمه؛ لأنه هو ذاته - أي الروح القدس - الذي سلَّم للابن الوحيد جسده ودمه وكل ما يخص إنسانيته، أي إنسانيتنا. وكما استلم الرب جسده ودمه من الأقنوم الثالث، هكذا نحن نأخذ جسد الرب ودمه، أي جسد الأقنوم الثاني بعطية وموهبة روحه القدوس، أي الروح القدس.

٥٠- عندما نتناول، فإننا نأخذ حياة الرب كلها: سر ميلاده من البتول، وسر معموديته، وغلبة الشيطان في البرية، وصومه، وصلاته، وموته المحيي لأجلنا، وقيامته، وعظمة ومجد صعوده إلى الملكوت. وتظهر حياة الرب فينا حسب أعمارنا وخبرتنا

واشتياقنا، ولكن في نهاية هذا الدهر عندما يطل علينا نور الأزل، سوف "نكون مثله" كما قال الرسول.

٥١– يأخذ المتزوجون بتولية الرب بالالتصاق بزوجةٍ واحدةٍ في قداسة ومحبة المسيح؛ لأن الرب الذي خطب وتزوج الكنيسة، ويقيم حفل زواجه ووليمة عرسه في القداس الإلهي، يعطي البتولية لكل الكنيسة، أي الزهد في إرضاء الشهوة، والعفة في السلوك، في الأموال، والكلمات، والطعام، والحرص على أوقات الصلاة وخدمة الإخوة. هذه هي مكونات (حرفياً عنصر) البتولية.

٥٢– ونأخذ نحن الرهبان بتولية الرب في حياة الدير في الانقطاع عن العالم تماماً والزهد في الصالح والمقدَّس نفسه مثل الزواج والعمل وسائر المقدَّسات.

٥٣– عندما يسلِّمنا الروح القدس جسد ودم عمانوئيل في القداس الإلهي، فهو يجدد فينا أيضاً شركته فينا، أي سكناه في طبعنا الإنساني المحتاج دائماً إلى التقديس؛ لأننا نأخذ جسد ودم الشفيع ورأس الكنيسة لكي تنحدر منه مسحته المقدسة إلينا نحن الذين ننال فيه كل خيرات اللاهوت.

٥٤– هكذا ستكون قيامة الأجساد، سوف نرى ما أخذناه في السر المجيد والفائق، أي سر الشكر الإلهي؛ لأننا سنرى فينا عدم الفساد وعدم الموت، وستقوم أجسادنا بمجد المسيح وهو ذات المجد الذي نعاينه سرياً في تسبيح الشاروبيم والسيرافيم، لأننا نشترك معهم في تسبيح الرب. وبسبب تجسده الذي رفعنا إلى مقامه الإلهي، سوف نجلس معه؛ لكي نسمع ذات التسبيح الذي كنَّا نردده ونحن على الأرض، ولكنه صار الآن يخص جسد الرب كله، أي الكنيسة الجامعة.

٥٥– هل نسيت أختام الميرون الإلهي؟ إذا كنت تظن أنها قد فنيت، فاسأل نفسك من أين تجد في قلبك الشجاعة والإيمان لرشم علامة الصليب؟ نحن نتَّحد بها في الميرون وتصبح قوة روحية فينا تجعل رشم الصليب نابعاً من داخلنا.

٥٦- وعندما نرشم علامة الصليب على تقدُمة الكنيسة، فإننا نلاحظ أنه بعد التقديس يصبح الرشم بالدم والجسد؛ لأنه بعد إعلان السر المجيد، أي بعد استدعاء الروح القدس، صار الخبز جسد الرب والخمر دمه الكريم. وهكذا ننال قوة الصليب التي زُرِعَت فينا بالمعمودية، وصارت ختماً بالميرون، وصارت تتجدد بقوة الرب نفسه فينا كل مرة نتَّحد به في الإفخارستيا المقدسة.

٥٧- لا تقل لقد تناولت مراراً ولا زالت الشهوة كامنة في قلبي، وصار قلبي مرتعاً للأرواح النجسة ... بل قل لقد تناولت مراراً ولا زلت أحب الضعف؛ لأنني لم أختبر قوة الرب وعمل قيامته.

٥٨- أعطانا الربُ جسده ودمه لكي نشترك نحن فيه.

لِتكن هذه العطية شرارة المحبة التي تجعلنا نفضِّل الرب على كل شيء آخر، وبذلك ينتهي سلطان الخطية من القلب.

٥٩- إذا سقطَّتَ وندمت، فأعلم أن شرارة المحبة الإلهية لا زالت مشتعلة في قلبك. غذِّي هذه النار الصغيرة بجسد ودم الرب لكي تصبح شعلةً حيةً فيك، وأنت حيٌ فيها.

٦٠- التناول باستحقاق ليس حسب الأعمال الصالحة، بل حسب الإيمان الأرثوذكسي (القويم)؛ لأنه "بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه" (عب ١١: ٦). أمَّا الأعمال الصالحة فهي لا ترضي الله؛ لأن رضاء الله معلنٌ قبل إنشاء العالم في تدبير ابنه الوحيد وموته المحيي. ولا يجب أن نفكر في العكس، أي في أن الأعمال الصالحة تغضب الله طالما أننا ننكر أنها ترضيه؛ لأن رضاء الله علينا أُعلن في مصالحة ابنه يسوع المسيح، وبهذا الإيمان ننال رضاه.

٦١– بالإيمان وحده نتقدَّم إلى هذه الذبيحة السماوية؛ لأن أعمالنا – مهما كانت – لم تخلق المحبة والرحمة في جوهر الثالوث غير المخلوق. وفي كل مرة نتكلم أو نعلن صفات جوهر الثالوث القدوس في الصلوات، فإننا نعلن معها أن كل صلاح وخير ومحبة هو من الله.

هكذا جاءت هذه العطية من فيض صلاح الله الذي لا يعتَمِد على صلاح الإنسان، ومن فيضان المحبة الإلهية التي خلقت كل الأشياء من العدم، ومن تجسُّد الرب يسوع المسيح الذي أخذ جسده من الروح القدس ومن والدة الإله؛ لكي يجمع في ميلاده الفائق ما هو سماوي وما هو إنساني في شخصه الواحد، ومن موته المحيي الذي به أباد كل أنواع الانفصال بين صلاح الله ومحبته وبغضة الإنسان وعداوته؛ لأنه قَتَلَ العداوة، وصَلَبَ الدينونة، وأَعلن بر الله "بدون الشريعة" (رو ٣: ٢١)، ومن قيامته التي سكبت الحياة من جديد في كل الخليقة.

والآن، لِنقف أمام هذا الفيضان الفائق ونعلن إيماننا؛ لأننا لم نكن نفكر ولم نكن نستطيع أن نحرِّك الله نحو هذا كله، بل هو تحرَّك بصلاحه، وهو الذي جاء إلينا، ولم نكن نحن الذين طلبناه.

لِنتقدم إلى هذه الذبيحة بلا اتكال على برنا الذاتي الذي إذا وُجِدَ، فهو لا يهيِّئنا إلى شيء، ولا يعطي لنا الاستحقاق، بل الإيمان وحده هو الذي يعطي لنا الاستحقاق. إيمانٌ بمن يبرر الفاجر، ويمنح اللص اليمين ميراث الفردوس؛ لأنه آمن فنال رضى الله.

٦٢– قال الرب عن هذه الذبيحة: "هذا اصنعوه لذكري"، وكان يعني ذكرى ألوهيته التي تغيب عن أذهاننا بسبب قساوة قلوبنا، وذكرى ميلاده الذي به ردَّنا إلى الروح القدس، وذكرى موته الذي به أباد الموت، وذكرى قيامته التي أحيا بها الخليقة كلها، وذكرى تجرده عن كل شيء حتى جسده ودمه الذي أعطاهما لنا.

لنتذكر هذه الأمور؛ لأنها علامات الخلاص.

٦٣- عندما يقام القداس الإلهي تفرح الخليقة وتتهلل؛ لأنها تستقبل معنا نعمة الحياة من رب الخليقة، أي ربنا يسوع المسيح. ونحن لذلك نسمي هذا السر الفائق "سر الشكر"؛ لأننا به ننال أعظم عطية، أي جسد ربنا يسوع المسيح ودمه الكريم.

وعلامات فرح الخليقة تراها في قلوب الذين استناروا وأخذوا النور الحقيقي، أي ربنا يسوع المسيح نفسه. فهم يسيرون بنشاطٍ وفرح، والجسد لم يعد ثقيلاً، والقلب يرتل ويسمع عذوبة الترتيل في صوت الرياح وحفيف أوراق الشجر واهتزاز النخيل، بل وهدوء رمال البرية.

٦٤- وعندما تجمعنا هذه الذبيحة بالقديسين الذين في كورة الأحياء السماوية، والذين لا زالوا معنا على الأرض، فإننا ننال استنارةً تجعلنا نفهم أقوالهم حسب استطاعتنا، ويشتعل الروح فينا بالمحبة حتى أننا لا نطيق أن يكون لنا حياة تختلف عن حياة آبائنا، وبهذا نرى كيف صرنا واحداً مع الرب، وكيف صار لنا شركة مع القديسين.

٦٥- بالتناول من الأسرار الإلهية غير المائتة، أي جسد الحياة ربنا يسوع المسيح، ندخل عربون القيامة ونراها ونحسها فينا حتى في أجسادنا المائتة قبل الدهر الآتي، أي يوم قوة ابن الله واستعلان مجده في يوم الدينونة.

وأول علامات عدم الموت نراها في السر نفسه، فقد ذَبَح الربُ ذاته بالنية وبالإرادة، وقدَّم ذاته، أي جسده ودمه في العلِّية معلِناً كمال التقديم على الجلجثة. هكذا حمل الرب جسده على يده عندما أمسك بالخبز والكأس وقال: خذوا كلوا، خذوا اشربوا، فنالت الكنيسة من الرب نفسه هذا السر، وهو ما جعل الرسول يقول: "إنني استلمت من الرب ما سلَّمته إليكم" (راجع ١ كور ١١: ٢٣). وهكذا نحن أيضاً نحمل أجسادنا على أيدينا، أي بالإرادة، ونقبل موت المسيح المصلوب في أجسادنا لكي نحيا به وفيه مصلوبين معه. وعندما نقبل أن نواجه الداء الخفي (الخوف من الموت)، فإننا بقوة السر ننال نعمة الإتحاد بالقائم من الأموات لأجل تبريرنا، لأنه قام لكي يبرر حياة

الخائفين، ويحول الخوف من الموت إلى خوفٍ مقدسٍ، أي الخوف من فقدان الشركة في آلامه وقوة قيامته التي تسبق الآلام.

٦٦- ومن علامات عربون القيامة ما نراه في السلام العميق الذي يجعل بعض المبتدئين يستغرقون في نومٍ عميق بعد التناول، وهو أمرٌ جيِّدٌ؛ لأن راحة الجسد توِّلد نشاط الروح.

٦٧- ومن علامات عربون القيامة ذلك التآلف المؤقت الذي يُولَد فينا من نعمة الإتحاد بالمسيح، عندما يصبح الجسد والروح في مصالحةٍ نحِسُّ بها في كلامنا وفي سيرتنا وأعمالنا؛ لأن الروح الإنسانية تتعلم المصالحة مع الجسد، حتى تنال القيامة والمصالحة الكاملة. ولكن لا يدوم هذا التآلف؛ لأننا لا زلنا تحت سلطان الخليقة الأولى إلى أن تُستعلن الخليقة الجديدة التي أعلنها الرب يسوع المسيح في ذاته وصار بذلك "الباكورة".

ولا يدوم هذا التآلف فينا؛ لكي ما نطلب ما هو أبدي ودائم في يسوع المسيح الذي له المجد الدائم.

٦٨- ومن علامات عربون القيامة ذلك الاشتياق الشديد الذي يجعل الدموع تنساب في غزارة عندما نرى المجد الأبدي الذي ينتظرنا في الدهر الآتي، وهو ذاته الذي يجعلنا نستهين بما يحدث لنا.

٦٩- يقول الرسول المبارك الذي استلم "سر المسيح" إن الخليقة خُلِقَت بواسطة الابن، وإنها قائمةٌ فيه، وإنها ميراثه لأنها "به وله قد خُلقت" (كولوسي ١: ١٦). ومن الصعب علينا أن ندرك كيف خُلِقنا، ولكن من الإيمان نرى كيف أننا له وأننا فيه نبقى وندوم في الوجود.

وهكذا صارت الإفخارستيا علامة الخلق الجديد؛ لأننا – بقربان الكنيسة – ندرك أن الابن هو رب الخليقة وخالق كل الأشياء.

ومن التقديس نرى كيف يجمع المخلِّصُ المنظورَ، أي قربان الكنيسة بغير المنظور، أي الروح القدس، وأيضاً الأرضيين مع السمائيين.

ومن توزيع جسد الرب على المتناولين نرى كيف أننا نبقى ونثبُت في الرب الذي أحبنا فخلقنا، وأحبنا فخلَّصنا، وأحبنا وأعطانا ميراثه الأبدي، أي ملكوته السماوي.

ونحن به؛ لأننا قيامٌ في هيكل قدسه.

ونحن فيه؛ لأننا نقترب به للآب.

ونحن له؛ لأننا ميراثه الأبدي.

وعندما ننال الأسرار المقدسة، فإننا نرى كيف صار الخلق من العدم، أي (به)، وكيف آلت إلينا الخليقة الجديدة؛ لأننا (فيه)، وكيف سنصير مثله؛ لأننا (له).

٧٠– يقول الرسول: "لأن كل الأشياء "منه" و"له" و"به". ولذلك في الخدمة الإلهية نقول: "نقرب لك كل شيء من الذي لك"، أي من جسدك ودمك الذي أخذته من البتول، ومنك أنت وحدك مؤسِّس وموزِّع السر.

"على كل حال"، أي حسب ترتيب طقس محبتك.

"ومن أجل كل حال"، أي من أجل المقاصد العليا السماوية التي أردت أن ننالها فيك ومنك وبك.

وفي يسوع نرى "منه "كخالقٍ، و"به" كوسيطٍ، و"له" كوارثٍ.

لنتقدم بإيمان ومحبة؛ لأن كل الأشياء تلتقي في الخدمة المقدسة:

– السماء والأرض.

– الثالوث المحيي والكنيسة، اجتماع جسد الرب الواحد.

– الخليقة الأولى والخليقة الجديدة.

– الإعلانات والمواعيد التي تمت، والتي سوف تتم.

هذا كله يجمعه السر المجيد.

٧١– قدَّم يسوع جسده لنا، لنقدِّم أجسادنا له.

قدَّم روحه لنا، لِنقدم أرواحنا له؛ لكي نحيا به.

قدَّم دمه لكي يعتقنا من أسر الخطية، لِنتحرر به لكي نكون له، ولنتقدس فيه لكي نحيا فيه وفي الآب إلى الأبد.

٧٢– يقول الرب لنا: "مَن يأكلني يحيا بي" (يوحنا ٦: ٥٧). ولماذا أشار إلى الأكل بالذات؟ والجواب هو أننا حسب الجسد نحيا بما نأكل، لذلك يصبح قول الرب تأكيدٌ على أنه لا حياةَ لنا بدونه، وأننا نحيا به لكي تصبح أجسادنا مثل جسده، وأرواحنا مثل روحه ولكي يتم الوعد الإلهي: "أنا الكرمة الحقيقية وأنتم الأغصان" (يوحنا ١٥: ٥).

٧٣– "مَن يأكلني يحيا بي"، أي يحب ما أحب، وفي قلبه يتدفق نهر ماء الحياة معطياً حياةً. وذات المحبة الإلهية للأعداء والأحباء على حد سواء[١]، لأن الكل يلتقي عند واهب الحياة ورئيس الخليقة ومبدع الأشياء من العدم وحافظ كل الأشياء بكلمة قدرته (راجع عب ١: ٣).

٧٤– قال الرب: "أنا القيامة والحياة"، وقال أيضاً: "مَن يأكلني يحيا بي".

لِنتناول لكي نقوم من موت الخطية، ولكي نحيا به.

---

(١) راجع القداس الكيرلسي حيث تقول الأوشية "الذين قالوا لنا أذكرونا والذين لم يقولوا .. أعدائنا وأحبائنا اللهم ارحمهم".

وهذه هي علامات قيامة النفس[1]:

أولاً: عندما نفضِّل الأمور السماوية على الأمور الأرضية، حتى وإن كانت صعبة.

ثانياً: عندما نقبَل الصليب بكل عاره، ورفضه لكل صور القوة، وغفران ومسامحة الأعداء، حتى وإن كان هذا ضد أحكام العقل والحكمة الإنسانية التي تعتبر الصليب جهالةً.

ثالثاً: عندما تزن النفس بميزان كلمة الله كل ما ترى وتسمع وتفكر، فتحيا بالكلمة الإلهية وتفضِّل حكمة الأسفار على الحكمة التي عند الناس.

رابعاً: عندما ترفض الشهوات الصالحة والمفيدة من أجل المسيح ناظرةً إلى ما هو أبدي.

خامساً: تقوم النفس في المسيح، وعند ذلك – تدريجياً – يتحول الجسد إلى قوة عاقلة، والقوى الأخرى مثل الغضب والخوف التي أُعطيت للإنسان هبةٌ من الله – حسب تسليم الآباء، وكتاب سُلَّم السماء ليوحنا الدرجي / الدرجة ٣٥ – تصبح قوىً مقدسةً تعمل تحت سيادة النعمة، ويحركها الصليب نحو البذل.

هذه هي علامات القيامة الواضحة، كُتِبَت من أجل منفعة المبتدئين. أمَّا باقي العلامات فقد كُتبت في رسالة الأب أغاثون المتوحد وليس لدينا ما يمكن إضافته.

٧٥– تقوم النفس بالتناول من الأسرار الإلهية غير المائتة دفعةً واحدةً، وبمداومة التناول تكتشف قوة السر الفائق؛ لأن الإفخارستيا مثل شعاع الشمس، أو بالحري شعاع الشمس مثل هذه العطية الفائقة، ينير حياتنا دائماً بنور واهب النور ربنا يسوع المسيح.

---

(1) قيامة النفس أو الروح تسبق قيامة الجسد في اليوم الأخير. وهذا التعبير مألوف عند كل الآباء.

ونحن نتناول على الأقل في أيام السبوت والآحاد؛ لأننا نحفظ راحة الرب (السبت) بفرح الروح القدس براحتنا في المسيح، ونحفظ قيامة الرب (يوم الأحد) بقوة قيامة الذي داس الموت.

لِنبقَ في نور الحياة؛ حتى نتعلم أن الحياة التي فينا ليست مِنَّا، ولكنها هبة المسيح الفائقة.

٧٦- يقول الرب في الإنجيل المقدس: "تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت ١١: ٢٨)، وبالإتحاد به في السر الإلهي تصبح أحمالنا هي أحماله هو. ويقول الرب بعد ذلك: "أحملوا نيري عليكم، لأن نيري هين وحملي خفيف فتجدوا راحة لنفوسكم"؛ لأن شركة الرب في آلام حياتنا تجعل آلام الحياة الإنسانية هي آلامه، ولذلك السبب، عندما نحمل نير الصليب، نجد أن الحمل الأكبر خاص بالمسيح.

٧٧- الإفخارستيا هي غذاء وقوة الضعفاء، والامتناع عن التناول بحجة الضعف الروحي لن يشفِ الطبيعة الضعيفة. وعن ذلك قال الرب نفسه: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى".

٧٨- أعطانا الرب جسده بقوة الإتحاد النابعة من أقنومه، أي حسب تدبير التجسُّد، وبقوة الصليب التي أزالت الموت، وبقوة القيامة التي ردت الحياة، وبقوة صعوده إلى مجد الآب التي أخضعت الأزمنة (حرفياً تعاقُب الأجيال) إلى سلطانه الذي قال عنه: "دُفِعَ إليَّ كل سلطان مما في السماء وعلى الأرض"، وبقوة شركته في ذات جوهر الآب والروح القدس، أي جوهر الثالوث الواحد غير المنقسم، وبقوة تمايزه الأقنومي عن الآب والروح القدس، فكيف بعد كل هذا يمكن لنا أن نشك في أن الرب نفسه هو الذي يعطي لنا جسده ودمه في سر الشكر.

٧٩- وإذا قلنا: "قوة اتحاد اللاهوت بالناسوت"، فإن هذا الإتحاد بين أقنوم الابن وناسوته هو الذي يجمع كل المؤمنين معاً ويجعلهم جسد الرب في سر الشكر، أي

قوة الإتحاد التي تنبع من أقنومه الإلهي وتجعل الكل معاً واحداً كما جعل ناسوته واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

٨٠- وعندما نقول: "قوة الصليب"، فقد كان الموت هو الذي يفصل المائتين عن نبع الحياة أي الابن المتجسد، وعندما صالحنا الابن المتجسد بموته، فقد أزال الموت، وفتح أحضان الآب لكي نصبح معه دائماً، ولكي لا يفصلنا الموت عنه، فَرَدَّ لنا الشركة في الحياة، بالصليب.

٨١- وعندما صالحنا مع الآب بموته، رَدَّ الحياة لنا بالقيامة التي أعطانا فيها عدم الفساد، فصارت قوة القيامة تسري في أرواحنا وفي أجسادنا، وهي ذات القوة التي تجعل الخبز جسد الرب، والخمر دمه الكريم.

٨٢- وعندما نقول: "قوة صعوده إلى مجد الآب"، فإننا نقصد إخضاع الزمان وكل حقبات الأزمنة إلى سلطانه الإلهي؛ لأنه يحكم الآن من السماء ويسوس الكنيسة جسده المقدس، ومن فوق – حسب قانون السماء وشريعة الثالوث – يعطي للمتناولين حياة عدم الموت حسب طبيعة السماء.

٨٣- ولأن جوهر الثالوث هو واحدٌ غير منقسم، تتمايز فيه أقانيم الثالوث؛ صارت وحدة الجوهر للثالوث هي نبع وحدة المؤمنين بالرب في العشاء الإلهي، ومائدة الملكوت، ووليمة المحبة التي تجمع. وهكذا نقل إلينا الرب هذه الهبة في السر الفائق لكي ندخل به أعماق الشركة ونصبح واحداً مع الثالوث بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

٨٤- وماذا نقصد بقوة تمايزه الأقنومي؟

والجواب ليس صعباً لمن له إيمانٌ قويم (أرثوذكسي)، فالرب واحد مع الآب والروح القدس، ولكنه واحدٌ معهما كابنٍ، أي متمايز في شركة جوهر الثالوث. هكذا يحفظ لنا التمايز نعمة البقاء كأبناء في ذات الشركة مع الثالوث، ويحفظ لنا البقاء

كأعضاء في جسد الرب، ويحفظ له مكانته وتقدُّمه الفائق لأنه هو الرأس الذي منه تُولد كل الأعضاء، وهو متقدِّمٌ علينا في كل شيء، وهو النبع الذي منه نأخذ كل الصالحات، وهو يظل متمايزاً عنا لا يفصلنا عنه شيء. ولما قال الرسول: إننا الآن أولاد الله الآب، فقد أضاف قائلاً: ولم يظهر بعد ماذا سنكون؟ ولكن متى أُظهر ربنا يسوع سنكون مثله (راجع ١ يوحنا ٣: ٢). والمجد الذي سيُعلن فينا، مُعلَنٌ قبل يوم الدينونة في المسيح، ويصعب على كلماتنا وأفكارنا أن تحصره؛ لأن الله عندما يعطي، يعطي أكثر مما نظن أو نفتكر.

٨٥– ومِن توزيع جسد الرب على المتناولين، ندرك أن ميراث كل مؤمن هو المسيح، كما أن ميراث المسيح هو الآب، وميراث الآب في عطية ابنه الوحيد وانسكاب روحه القدوس فينا؛ لأننا بالسر الفائق نصبح "جسداً واحداً وروحاً واحداً".

٨٦– أخذ الابن الوحيد جسده من الروح القدس، وأخذ إعلان محبته من الآب، ولذلك السبب عينه نصلي للآب، ونصلي للابن، ونصلي للروح القدس.

وعندما نصلي القداسات للآب، فإننا ندخل شركة الثالوث بشفاعة الروح القدس. وعندما نصلي للروح، فإننا ندخل شركة الثالوث بشفاعة الابن. وقد كتبْتُ ما يكفي في الوقت الحاضر عن شفاعة الروح القدس، وأكتفي بأن أقول إن الأسفار المقدسة والآباء القديسين لم يذكروا شفاعة الآب بالمرة لسببٍ واحدٍ، وهو أن الآب هو مصدر كل الأشياء، وهو الذي أقام ابنه بقَسَمٍ رئيسَ كهنةٍ، وهو الذي بواسطة الابن أرسل الروح القدس.

وصلواتنا للروح القدس أقل مما يجب؛ لأنه هو الذي يُملي ويلهم قلوبنا ويرتب كلماتنا؛ لأنه مُعلِّم الصلاة، ومقدِّس الذي يطلبون الآب والابن بواسطة شفاعته. ولأن الروح القدس هو "عطية" الآب لنا، لذلك لا نصلي للعطية؛ لأن العطية هو مصدر كل صلواتنا.

٨٧– وفي القداس الإلهي نأخذ جسد الرب من الروح القدس، ونأخذ الروح القدس من الرب يسوع، ونأخذ الابن والروح القدس من الآب؛ لأننا – بنيةِ الذبحِ، أي نية الرب نفسه – ندخل شركة الثالوث. وبإرادة الابن في تقديم ذاته، ندخل خدمة كل الأسرار. وبتقديس الروح القدس لجسد الرب ودمه، نتناول متَّكِلين على برِّ المسيح الذي أحيانا من الموت. وبه، أي بذات التقديس، تتقدس كل العناصر التي تخدم الأسرار مثل الخبز والخمر والماء.

٨٨– كيف تحوِّل القيامةُ خبزاً أرضياً من الأرض إلى طعام سماوي روحاني؟ الجواب ليس صعباً على الفاهمين الذين تربّوا في مدرسة حكمة الإنجيل.

لقد غمر الربُ كل الكائنات بحياة جديدة، ردَّ للكون مكانه المفقود في شركة الثالوث، أي ما خسره الإنسان الأول عندما رمى تاج مُلك الخليقة تحت سلطان الشيطان، فتسلَّط الموت والفساد على كل ما هو حي. أمَّا الآن، فقد لبس هذا التاج الإنسان الثاني "الرب من السماء" (١ كور ١٥: ٤٧)، وردَّ للإنسان ما فقده، وجدَّد وأعاد الحياة؛ إذ خلعها من سلطان الهاوية، فصارت الحياة هي نهاية كل ما هو كائن.

هكذا لا نأكل الخبز الأرضي لكي نعود إلى الأرض، بل لكي نحيا في انتظار مجد القيامة ونهار عزة ابن الله.

وعندما ننال الطعام الروحي، فإننا بقوة قيامة الرب، وبذات التقديس، ندخل إلى شركة حياة الثالوث حيث تلمع كل العناصر بنور الحياة؛ لأنها تأخذ وجودها من الآب، وحركة حياتها من الابن، وكمالها، أي غايتها من الروح القدس. والآن قد أعطاها (أي العناصر المخلوقة) الرب يسوع المسيح مكانها في خدمة الخلاص، ففي الوسيط الواحد، الذي أخذ جسده من أجسادنا أي من عناصر الأرض، دخلت الخليقة عصر

المسحة المقدسة في المسيح، وصارت الآن تُمسح في المسيح، الذي فيه[١] يجمع الرب بقوة لاهوته، كلَ الكائنات والعناصر التي ستدخل الحياة الجديدة ممسوحةً بمسحة عدم الفساد ومعطياً لها مكاناً جديداً في الملكوت حسب إيماننا الأقدس.

٨٩- نحن نتكلم عن ما هو آت، وكلامنا لا يحصر نعمة الله ولا يقيِّدها بما نعرف الآن؛ لأننا "الآن ننظر في لغز كما في مرآة" (١كور ١٣: ١٢)، أمَّا عندما يُعلَن ملكوت المسيح كاملاً؛ لأنه الآن يُعلَن جزئياً، فسوف نفهم الكل.

٩٠- نحن نحيا في زمان الروح القدس الذي يجمع فيه رئيس الكهنة ربنا يسوع المسيح عناصر الخليقة الجديدة ويعطي لها مكانها في خدمة الخلاص؛ لأنه أعطى للموت قوة هدم القديم، وأعطى للمرض أن يتلاءم مع عطية الصحة، وأن يعلن لنا نهاية الخليقة القديمة وبداية الجديدة التي نراها في صراخ الكنيسة المقدسة في صلوات مسحة المرضى. وأعطى المياه أن تلد للخلاص أبناء وبنات الملكوت، ونهاية التمييز بين الذكر والأنثى؛ لأنه "في المسيح يسوع ليس ذكراً ولا أنثى" (غلا ٣: ٢٨)، ودخولنا رتبة السمائيين.

أمَّا الخبز وهو طعام الخليقة القديمة، فقد صار هو الخبز الجوهري، أي طعام الخليقة الجديدة. وهكذا لم يعد الخمرُ سببَ فقدان الحكمة والتعقل، بل صار كأس الخلاص هو السُّكر الحقيقي بمحبة الآب، لذلك يقول الشماس: "لنقف حسناً"؛ لأننا قياميون (من القيامة) ونقف في جمال قيامة ابن الله معلِنين - بقيامتنا - دخولنا الزمان الجديد الذي فيه ننال رؤية ما هو فائق في يسوع المسيح ربنا.

٩١- عندما نصلي "مجمع الآباء" القديسين في القداس الإلهي، فإننا نجتمع معهم،

---

(١) تعني كلمة "الآن" هنا زمان انسكاب الروح القدس بعد يوم العنصرة وهو زمان الروح القدس كما يقول المؤلف نفسه في الفقرة ٩٠.

أولاً: في الصلاة.

ثانياً: كأعضاء جسد المسيح الواحد الذي له رأسٌ واحدٌ هو رئيس الكهنة.

ثالثاً: لأن الخدمة الإلهية هي اجتماع "ملء الكنيسة الجامعة" حيث نصبح واحداً في المسيح. وتعلَن هذه الوحدة في سر الذبيحة الإلهية التي فيها نصبح معاً مقدَّسين في يسوع المسيح نحن والذين سبقونا إلى "كورة الأحياء"، أي أورشليم السمائية.

رابعاً: تتحد شفاعة آبائنا القديسين الراقدين في يسوع المسيح مع شفاعتنا نحن الذين نقف عند المذبح السمائي، لكي تصبح شفاعةً واحدةً لجسدٍ واحدٍ له رأسٌ واحدٌ هو يسوع المسيح ربنا.

٩٢– وأساس هذه الصلوات جميعها هو الذبيحة والكاهن والمذبح، أي ربنا يسوع المسيح الذي بالروح القدس ذُبِح لكي يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد. وهو ذُبِحَ بالروح القدس، أي أنه قُدِّم قرباناً حياً، فقد دخل قدس الأقداس، أي السماء بقوة لاهوته الذي لا يموت، حاملاً معه – أي فيه – دمه الكريم؛ لكي يقدِّس طريق العبور للمفديين الآتيين من الأرض إلى ميراثه السماوي الأبدي، وبعد قيامته أدخل الناسوت إلى ذلك الميراث عينه لكي يبقى فيه إلى الأبد، وبالروح القدس الذي هيَّأ جسده، ومسحه في الأردن بعد خروجه من الماء، واشترك معه في كل شيء؛ لكي يؤسِّس وحدة عمل الثالوث لنا نحن الذي نحتاج إلى هذه الوحدة، معلناً لنا أننا ننال بقوة الروح القدس فاعلية وعمل الذبح في تطهير وغسل الطبيعة الإنسانية من الموت ودنس الخطية.

وعندما نقدِّس المذبح بزيت مسحة الميرون الذي به نُمسح بعد معموديتنا، فإننا ننال – مع المذبح ومع الأواني المقدسة والأيقونات – علامة الذبح، أي رشم (ختم الصليب)؛ لأن المصلوب جمع كل هذه معاً في وحدةٍ واحدة، وجعل الكل قرباناً لأبيه السماوي.

٩٣– نحن والقديسون الراقدون جسدٌ واحدٌ. ونحن في المسيح وبه جسدٌ واحدٌ؛ لأن الذي يجمع الأعضاء الواحدة دون انفصال هو الواحد الذي فيه اتحدت الطبيعة الإلهية بالطبيعة الإنسانية؛ لأنه "واحدٌ من اثنين" كقول معلمي البيعة[١]، جسدٌ واحدٌ لا ينفصل ولا يقوى عليه الموت. وكما يقول الرسول إن كل أعضاء الجسد هي واحد رغم أنها كثيرة؛ لأن الحياة التي تجمعها هي حياة الرب، والقوة التي تربطنا معاً هي قوة اتحاد لاهوته بالناسوت. والوحدة التي لا تقبل التقسيم هي وحدة جسده بلاهوته، وهي وحدة بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. فهو يجمع أعضاء جسده بواسطة دمه وجسده لكي نصبح فيه مقدَّسين، أي مثله، أنقياء مثل نقاوته، وهو ما يجعلنا واحداً معه.

٩٤– نحن نأكل جسد الرب ونشرب دمه الكريم، والرب هو طعام الحياة الباقية.

هو يؤكل فعلاً؛ لأننا نتناول جسده ودمه، ولكنه لا يفنى؛ لأنه الحياة.

وبسبب قيامته من الأموات، صار هو طعام الحياة الذي يغلب فساد الطبيعة المائتة كقوله الإلهي: "مَن يأكلني يحيا بي"، أي يحيا في عدم فساد (يوحنا ٦: ٥٧).

فإذا تسلَّطت علينا قتالات الأرواح النجسة، وانعكست على عقولنا خيالات الحياة الماضية وتكاثرت في عقولنا الأفكار الشريرة، فإن هذا لا يعني أننا فقدنا النعمة، بل يعني أن العدو الشرير يحاول أن يذكِّرنا بأن حياتنا الماضية لم تُمت، في حين أنها ميِّتةٌ فعلاً؛ لأنها غير قادرة على أن تأسرنا، ولا قوةُ بقاءٍ فيها، بل حُكم عليها بالموت على الصليب، وهو حكمٌ يؤكد عدم جدواها.

لِنَرشم الصليب بقوة الذبح التي في الرب، لكي يذبح الرب أعداء حياتنا، ويحوِّل أفكارنا الشريرة التي تزورنا من وقت لآخر إلى مناسبات تمجيد لمن مات عنّا.

---

(١) عبارة معروفة للقديس كيرلس الإسكندري.

لِنَقترب من الأسرار بالإيمان الذي ليسوع المسيح، أي الإيمان بصلاح الله الذي يغفر، ويُصالح الأعداء، ويبرر الفاجر، ويستر كثرة من الخطايا حسب محبته الفائقة؛ لأنه حيث كثر الإثم تكثر أكثر محبة الله ونعمته الغنية.

٩٥- سألني بعض الأخوة عن أسباب التناول الأسبوعي، وماذا يحدث بعد التناول، وهل يكفي أن نتناول مرةً واحدةً؟ وجواب هذه الأسئلة يحدد نوع الإيمان، ورؤيتنا لإتحادنا بالرب يسوع المسيح ونضوج المحبة والتواضع، ونمونا نحو المخلص نفسه في التشبه به.

***أولاً*:** يجب علينا إذا حاصرتنا أسئلةٌ من هذا النوع، أن لا نقع في حيرة وشك، بل أن يكون لنا إيمانٌ بصلاح محب البشر الذي يتولانا دائماً بالرعاية حتى إن كُنّا لا نحس بها، فهو الذي يسهر على حمايتنا كراعٍ صالحٍ، وهو الذي يقودنا نحو الحياة الحقيقية.

ثانياً: علينا أن نؤمن أن عمل الله الآب في ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح وعطية الروح القدس، لا يتوقف على نشاط إرادتنا، بل هو تدبير المحبة الإلهية الأزلية التي أُعلنت في الدهور في يسوع المسيح، دون أن تخضع لتوبة البشر أو تأخذ بعين الاعتبار إيمان البشر وقبولهم للرب يسوع. فهو الذي جاء إلينا بنفسه متجسِّداً من البتول والدة الإله، ولم يكن تجسُّد الرب معتمداً على إيماننا، بل على تواضعه ومحبته، ولذلك قال الإنجيلي إنه هو "أحبنا أولاً" (١ يوحنا ٤: ١٩).

هذا هو جوهر الإيمان وخلاصة الإنجيل؛ لذلك، لنذهب لمن جاء إلينا ونقبَل مَن تنازَل وقدَّم جسده قرباناً.

ومن استطاع أن يتناول كل يوم، فهو في وضع أفضل من الذي يتناول كل أسبوع؛ لأنه يحيا بالطعام السمائي الحقيقي جسد ودم ربنا يسوع المسيح.

ماذا يحدث لنا عندما نتناول؟

لا يجب أن نُخضع عطية الله للذكاء والفكر البشري.

ماذا يقول ذكاء المحبة أو بالحري حكمة محبة الله؟ "هوذا على كفي نقشتك" (أش ٤٩: ١٦)، "ومَن يمسكم يمس حدقة عينه" (زك ٢: ٨)، و"ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (مت ٢٨: ٢٠).

هذه المواعيد لا يمكن أن نفحصها حسب مقاييس الذكاء والحكمة البشرية. أولاً؛ لأنه لا يوجد في العالم المنظور شيء يمكن أن نقارِن به عمل الله. ولا يوجد شخص يمكن أن نقارِن به المسيح. ولا يوجد كتاب يشبه كتاب الله، أي الأسفار المقدسة. كل هذه هي أمورٌ سمائية لا يمكن مقارنتها بالأمور المنظورة الأرضية. وهذا يفرض علينا أن نقارن الروحيات بالروحيات، وأن نجعل مقياس الأمور الروحية هو المسيح نفسه. فقد كان مع التلاميذ دائماً، وكان مع الآب والروح القدس. كان يتكلم مع السامرية، وكان يرى الآتيين عبر الزمان إليه، ومن القرية سوخار. هكذا ندرك أننا معه في الهيكل وهو معنا، وأننا به ندخل شركة الآب. وعندما تنتهي الخدمة المقدسة وننصرف من هيكل الله، فإننا نخرج من الكنيسة لنكون هيكل الله الحي، وهذا ما يجعلنا نرتل المزمور ١٥٠ فهو تسبيح كمال الخليقة الجديدة التي صارت في فردوس الله، وتأكل من شجرة الحياة، وتحيا على الأرض في انتظار ظهور ربنا يسوع المسيح بكامل مجده.

إذا حاصرتنا الأفكار الأرضية، وغاب عن ذاكرتنا اسم الرب يسوع، وثقُلت نفوسنا بالاهتمامات الجسدية، فلا يجب أن نظن أن الرب قد فارقنا ولم يعد يسكن فينا؛ لأن هذا الظن يعادل التعليم الفاسد الذي يقول إن نعمة الله تعتمد على توبة الإنسان، وإن رحمة الله تُسكب فقط على المؤمنين. لنتذكر قول الرب في الرؤيا: "ها أنا واقفٌ على الباب وأقرع، إن فتح لي أحد أدخل وأتعشى معه وهو معي" (رؤ ٣: ٢٠). لقد دخلنا مع الرب في القداس الإلهي، وإذا خرجنا داخلياً، فهذا لا يعني أنه خرج وترك شركته معنا،

فهو يظل أميناً لا يقدر أن ينكر نفسه؛ لأن أمانته تجعله يجمع المتفرقين ويوحِّد أعضاء جسده به. وحكمة محبته لا تجعله يترك الخروف الضال أو يهمل الدرهم المفقود، بل يجمع الكل معاً في شركته السمائية.

لِنبقَ في حياة الصلاة، وهذا يعني أن نترك كل فكرٍ – مهما كان – لكي نجعل قلوبنا مذبحاً مقدساً مستعداً لعمل الرب يسوع، ومنتظراً مواهب روحه القدوس.

٩٦- بخصوص مواهب الروح القدس، وهي تلك التي تعلَن في القداس الإلهي؛ هي جميعاً صفات آدم الجديد التي أخذها الناسوت من أقنوم الابن الكلمة عندما تجسد، وهي ذاتها مُسحت بالروح؛ لكي تُنقَل إلينا نحن حسب قول الرب يسوع عن الروح القدس: "يأخذ مما لي ويعطيكم" (يوحنا ١٦: ١٥، ١٦)، فهذا القول ينطبق على كل شيء، حتى التكلم بالألسنة الجديدة؛ لأن الرب يسوع يتكلم مع كل قلب بلسان هذا القلب، ويتكلم مع الكل بلسانٍ واحدٍ، وهو لسان المحبة، أي اللسان الجديد الذي يوحِّد الكل.

من أجل هذا الأمر بالذات، صار من الضروري أن نتذكر أننا نتَّحد بآدم الجديد بقوة صليبه وقيامته وفي نهر الروح القدس، وننال هذه المواهب حسب إرادة الروح القدس لكي يعلن بنا وفينا الإنسان الجديد المخلوق حسب الله (كولوسي ٣: ١٠).

٩٧- ما هو نوع إتحادنا بالرب في سر الإفخارستيا؟

أقول للأخوة المبتدئين إننا نتحد بالرب على مثال اتحاد لاهوته بناسوته، أي ذات الإتحاد الذي حدث في أحشاء البتول والدة الإله، وإننا لذلك السبب نفهم أن عبارة الرب: "أنا هو الكرمة الحقيقية وأنتم الأغصان" (يوحنا ١٥: ٥)، تؤكد لنا أننا مثل ناسوته؛ لأن "الكرمة" اسمٌ خاص بالناسوت.

وهكذا، كما اتحد اللاهوت بالناسوت في الأقنوم الواحد ربنا يسوع المسيح، نتَّحد نحن به بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. هو "واحدٌ من اثنين"، ونحن أيضاً على

مثال هذا الإتحاد: هو "الرأس"، ونحن "الأعضاء". وهكذا كتب الرسول بولس المجاهد لأجل سر المسيح، أنه كما أن الجسد واحد رغم أن له أعضاء كثيرة، هكذا أيضاً المسيح رأس الجسد وأعضاءه نحن (١ كور ١٢: ١٢). لذلك علينا أن ندرك، أنه كما لم ينفصل الناسوت عن اللاهوت "لحظةً واحدةً ولا طرفة عين" (صلاة الاعتراف في القداس الإلهي)، هكذا نحن أيضاً لا ننفصل عن المسيح لحظةً واحدةً ولا طرفة عين؛ لأنه لا يمكن لقوة في السماء أو على الأرض أن تفصل أعضاء المسيح، ولا توجد أي قوة، حسب عبارة الرسول التي تدوّي مثل صرخةٍ إلهيةٍ في آذان الزمان والبشر "لا شيء يستطيع أن يفصلنا عن محبة الله التي في يسوع المسيح" (رو ٨: ٣٥).

٩٨- مات الرب على الصليب لكي نرث موته، أي لكي يصبح الصليب هو باب الخلاص، وإذا قال الرسول: "ورثة الله بيسوع المسيح" (راجع رو ٨: ١٧)، فهو يعني وراثة الحياة.

مات الرب على الصليب لكي بموته يرفع عائق الاتحاد به أي الموت. ومات لكي تصل إلينا قوة صليبه المحيي. ومات لكي نصل نحن إلى حياته التي لا تموت. ومات لكي يؤسِّس بموته ذلك السر الفائق؛ لأنه حمل جسده على يديه وحوَّله إلى خبز سمائي، أي طعام سمائي، فعَبَرَ بذلك هاوية الموت والفساد إلى مجد اللاهوت. وقدَّم جسده بنفسه من الموت إلى الحياة، عندما أطعم المائتين في العلِّية لكي يُعلَن بعد ذلك علانيةً على الجلجثة، ومن القبر أعلن نهاية الموت بالقيامة.

هكذا بالصليب وضع أساس الحياة غالبة الموت. وهكذا صُلب لكي يتَّحد بنا، وقام لكي يجعلنا أحياءَ معه وفيه.

٩٩- قبل أن يذوق الموت بالجسد قال: "مَن يأكلني يحيا بي"؛ لأنه هو الحياة. وقبل أن يُصلب قال: "جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق" (يوحنا ٦: ٥٥)؛ لأنه هو الحياة أي حياةُ مَن قال: "أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا" (يوحنا ١١:

٢٥)، فصار قوله إعلاناً عن الخلاص والحياة والقيامة، وعن كل ما فيه من قوة وثبات ومغفرة، فهو "المذُخَّر فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة" (كولوسي ٢: ٣).

يجمع الربُ الحياةَ التي له – كأقنوم – مع الموت الذي لنا في طبيعتنا؛ لأنه أخذ جسداً ونفساً مثل جسدنا ومثل نفسِنا، وفيه تغلب الحياةُ الموتَ.

طهَّر الطبع الإنساني بالإتحاد، وغلب الموت الذي يأتيه من الخارج، وهو الذي عنه قال: "ليس أحد يأخذها مني (حياته) لي سلطان أن أضعها وسلطان أن آخذها أيضاً" (يوحنا ١٠: ١٨)، وهكذا غَلَبَ الموت الذي كانت طبيعتنا خاضعةً له، وثبَّت هذه الغلبة بالقيامة. والآن يعطي لنا عربون هذه الغلبة في سر الشكر الإلهي الذي فيه نتَّحد بالرب يسوع المسيح بالآمه المحيية التي غلبت شوكة الخطية، وبقيامته المجيدة التي أعطت لنا رؤية الحياة السماوية التي له والتي سوف تصير لنا، والتي نتذوقها هنا ونحن في الجسد.

١٠٠– لِنطلب من الرب أن تكون حياتنا ليتورجية حيةً، نقدِّم فيها القربان، أي أجسادنا وأرواحنا على مذبح كلمة الله الحية الفعالة التي هي أقوى من كل سيف ذي حدين (راجع عب ٤: ١٢)، وبها نذبح النية الداخلية لكي نصير صعيدةً للرب.

وليكن لنا نية الذبح ورغبة تقديم أجسادنا كل يوم.

لنقدم أيضاً حياتنا العقلية (رو ١٢: ١)؛ لأننا عندما نُبقي في ذاكرتنا اسم ربنا يسوع المسيح، ننال هبة البقاء في الأسرار السمائية.

وليكن لنا مصالحةٌ دائمة، وتسبيحٌ مع القوات السمائية.

لنطلب الروح الناري حسب وصية معلمنا العظيم أنطونيوس؛ حتى نصبح به جسداً واحداً وروحاً واحداً مع الرب نفسه الذي لأجل هذه الغاية أخذ جسدنا من والدة الإله بالروح القدس.

لنُصلِّ من أجل شركتنا المقدسة؛ لكي نرتل بفرح مع القديسين هنا وفي السماء. وهكذا نتبع ترتيب الخدمة المقدسة صائرين بقوة ربنا يسوع المسيح أطهاراً وقربانَ حياةٍ له وحده.

لقد ذكرت ما فيه الكفاية، وأسرار الرب عجيبة فائقة لا يمكن أن نصل إلى أعماقها إلاَّ بقوة ومعونة الروح القدس الذي يكشف لنا عن جمال محبة ربنا يسوع المسيح.